

صدّق العاطفه

في الشعْر الشيعيِّ

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضادر

المدرس في كلية اللغة العربية

كل مسلم شيعي؛ وكأن الشاعر الذي يقول:

كاختلاط الضيا بماء العيون حُبُّ آل النبي خالط قلبي

إنما يترجم عن عاطفة كل مسلم؛ وهل التشييع إلا حب آل محمد؟ ومن هذا الذي لا يجب آل بيت

رسول الله الألى أذهب عنهم الرجس وطهورهم تطهيرا؟

أحباى ما عاشوا وأهل ثقاتي ملامك في أهل النبي فإنهم

على كل حال خيرة الخيرات تخيرتهم رُشداً لأمرى فإنهم

و زد حبهم يارب في حسناتي(1) فيارب زدنى من يقينى بصيرة

هذا الحب الذي هو شعبة من شعب الإسلام، طاهره عواطف أسى عميقة على ما أصاب أهل هذا البيت

من كوارث، وما اصطاح عليهم من محن، وما عتوارهم من نكبات، في مختلف الأوطان والعصور

الإسلامية، مما جعل حديثه شجى كل نفس، ولو عة كل قلب؛ ولم يلف من طغيان هذه العواطف،

أن آل البيت أنفسهم كانوا هم المغامرين دائماً، بطلبهم للخلافة، واستبسالهم في سبيل

الوصول إليها، ومن طلب الحسنة لم يغلبها المهر؛ وإذا كانت النفوس كباراً، تعبت الأجسام

في مرادها؛ بل زادها اشتعالاً وتأججاً، أن المبالغة في التنكيل بهم أظهرتهم في مظهر

المظلومين المعتدى عليهم، فكان العطف عليهم أعم، والتأثر لمصائبهم أوجع.

هذه العواطف غير المشوبة، ولا المصطنعة، أضفت على الشعر الشيعي كله لوناً حزيناً

باكياً، تحته جيشان نفسى ثائر؛ ذلك لدمهم المطول، وهذا لحقهم الممتول، وبين هذا وذاك،

فخر يفرع السماء بروقيه، ومجد يطاول الأجيال، فكن ناصبياً، أو أموياً، أو خارجياً؛

قحطانياً أو عدنانياً؛ واقراً شعر الشيعة، فإنك - بلا ريب - واجد فيه مصداق ما أجملت.

ولئن قيل إن مصرع الحسين بن على رضى الله عنهما، على مبلغ فجيعة، لم يثر فيه شعر

يستحق أن يروى، وهذا حق، لقد كان ذلك لتهديب الشعراء جانب بنى أمية، وخشية قوارعهم.

هؤلاء ثلاثة من فحول الشعراء العباسيين، أحدهم عباسي، والآخران شيعيان يتناولون معنى

واحدًا، فيختلفون في أدائه اختلافًا واضحًا، ويختلف أثره في النفوس كذلك اختلافًا واضحًا، ولكن الذي لا يشتبه ولا يختلف هو أصالة العاطفة في بعض، واصطناعها في بعض. يقول الكميت بن زيد، محتجًا لبنى هاشم علي بنى أمية في إحدى هاشمياته:
فلم أرَ غصبا مثله يُتَغَمَّصُ بِبَخَاتِمِكُمْ غصبا تجوز أمورهم
و يقول مروان بن أبي حفصة، حتجًا لبنى العباس على الطالبين، في لاميته التي مطلعها:
بيضاءٌ تخلط بالدلال جمالها طرفٌ تذكُّ زائرة فحى خيالها
و التي يقول يونس به حبيت لمروان: إنها أجود من لامية الأعشي، التي مطلعها:
غضُّبى عليك، فما تقول بدالها؟ رَحَلَاتٌ سُمَيَّةٌ غَدَوَةٌ أَجْمَالُهَا

(1) دعبل الخزاعي.